

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

[فصل: ثم هم مع هذه الأصول يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجيه الشريعة. ويربون إقامة الحق والجهاد والجُمُع والأعياد مع الأبراء أبرارا كانوا أو فجارات، ويحافظون على الجماعات . ويدينون باتفاقية للأمة، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: { المؤمن للبيان المرصوص، يشد بعضه ببعض } ، وشيك بين أصابعه } آخرجه البخاري برقم (6026) في الأدب، باب: "تعاون المؤمنين بعضهم ببعض". ومسلم برقم (2585) في البر والصلة، باب: "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاصدهم" عن أبي موسى رضي الله عنه. وقوله صلى الله عليه وسلم: { مثل المؤمنين في تواهدهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد: إذا اشتكت منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهير } آخرجه البخاري برقم (6011) في الأدب، باب: "رحمة الناس بالبيان". ومسلم برقم (2586) في البر والصلة، باب: "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاصدهم". عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. [* قوله: (فصل: ثم هم مع هذه الأصول يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجيه الشريعة...) : هذه الأمور التي ذكرها المؤلف رحمة الله من خصال الخير ومن محسن الأخلاق: فإنها لو لم تأت بها الشريعة فإن العقل يدرك حُسنها ويجد الأمر بها، فمن ذلك : 1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعروف: اسم لكل ما تعرفه الفطر السليمية والتقوس المستقيمية، اسم لكل خير محظوظ في النفس، وتطمئن إليه النفس وتأنس به، وقد أصبح أيضًا اسمًا لما أمر به الله ورسوله، فإن ذلك يسمى معروفا، فالأمر بالعبادة والأمر بالأخلاق، والأمر بالمعروف، والأمر بالصلوات والجماعة أمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالصوم يذكر الله وتلاوة كتابه أمر بالمعروف، والأمر بالصدق وأفعال الخير، والأمر بإخراج الزكوات والكافارات والوفاء بالنذور، ونحو ذلك، أمر بالمعروف، وكذلك كل المفروض أو التفل، والأمر بحب أهل الخير والقرب منهم، والأمر بحضور مجالس الخبر و المجالس العلم، وتعلم العلم النافع والأعمال الصالحة أمر بالمعروف، وهكذا كل أفعال الخبر التي أمر الله بها وأحدها. وأما المنكر: فهو اسم لكل ما تكره التقوس وتغير منه الطياع، وتنسبشه التقوس الأبية السليمية وتغير منه، وهذا سبب كونه منكرًا، ولو وجدت نفوس ندية تستحسنها، فإنه لا عبرة بها. فالمنكر أولاً: منكر طبعاً، وثانياً: أمنكر الشر وحرمة الله ونهي عنه، أو نهي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وحده منه. فمثلاً أدى العياد والتعدى عليهم منكر، والسب والهجو والشتائم واللعن ونحو ذلك منكر. وهكذا البخل بالواجبات، وشنح النفس، والحرص الشديد على ما لا فائدة فيه، أو الحرص الذي يقع في المحرم وهذا منكر تكره التقوس، وهكذا الغش في المعاملات، والتعامل بالمعاملات الربوية، والغرر والخداع ونحو ذلك منكر، وهكذا أدى الجار وأدى الصديق ونحو ذلك منكر. وهكذا التهاجر والتقاطع منكر. وقد تكون بعض المنكرات مألوفة عند بعض النفوس الدينية، لا يكون لها دليلًا على استحسانها، فالذين يألفون شرب الدخان ونحوه، لا يدل على أنه معروف بل إنه منكر في الحقيقة، وهكذا الذين يتعاطون المخدرات ونحوها، يتذلون بها ويربون أنها حسنة ومناسبة لنفوسهم الدينية، ولا يخرجها ذلك عن كونها منكرا. فمن صفات أهل الخير أنهم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجيه الشريعة أي أنها جعلته من واجبات الإسلام، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: من أراد وعده الله فيتحقق بشرط الله . وعده الله في أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمّة أخرجت للناس، لا يتتحقق إلا بالشرط الذي ذكره الله تعالى في قوله: { كَلَمْ حَيْرَ أَمَّةً أَخْرَجَنَ اللَّهُ أَمْرُونَ بِالْمَقْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوَفَّيْنُ يَالِلَّهِ } [آل عمران: 110] انظر كيف قدم الأمّر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه منكر أو مكروه . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. فهذا الإيمان بالله، وذلك دليل على أنه من واجبات الإسلام. وهذا قوله تعالى: { الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَعْصُمُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضُ يَامِرُونَ بِالْمَقْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَعْبُدُونَ

الصلة وَيَنْهَوْنَ الرَّكَاةَ } [التوبه: 71] انظر كيف قدم الأمّر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقامة الصلاة وإيتاء الرزكة، فالتفيد يدل على الأهمية، ويدل أيضًا على أنها من واجبات الإسلام، وهذا معنى قوله: على ما توجيه الشريعة. كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : { من رأى منكراً فليغیره بيده، فإن لم يستطع فليسنه، فإن لم يستطع فيقيه، وذلك ضعف الإمامان } آخرجه مسلم برقم (49) في الإمامان، باب: "بيان كون النهي عن المنكر عن الإمام". عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. فهذا يحدد درجات تغيير المنكر، فلا يحق لأحد أن يتعذر هذه المراتب فمن كان يستطيع التغيير بيده، ولا يوجب ذلك منكراً أكبر أو مفسدة أكبر، كان فرضه أن غير بيده، فإذا قدر مثلاً على إرادة الخمور وكسر دنانيرها وإنلاف على الدخان، وما أشبه ذلك من المنكرات فإنه يفعل ذلك. كذلك إذا قدر أن يعاقب العصاة والمبتدعين على الملالي والأغاني بيده أو بعصاه ولم يترتب على ذلك مفسدة كبيرة، وذلك بيان بشاعة هذه الأفعال وشناعتها وقبتها، وبيان دناءة نفوس أهلها وقبح ما بهم، وعکوفهم على هذه الأشياء التي تذكرها الشريعة والقطرة. فإذا لم يستطع ذلك وخلاف أن يترتب عليه اقتصر على الإنكار بالقلب، وينتحق الإنكار بالقلب ببعض تلك المنكرات والأفعال القبيحة ومقت من يفعلها والبعد عنها وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مخالفتهم، والتصرّح ببغضهم والإنكار لما هم عليه، فإذا فعل ذلك صدق في أنه منكر بقليه. 2- إقامة الحق والجهاد والجمع والأعياد مع الأبراء فقوله: " ويربون إقامة الحق والجهاد والجمع والأعياد مع الأبراء أبراراً كانوا أو فجارات" ، هذه أيضًا من خصال أهل السنة والجماعة: وذلك لأن الخروج على الأئمة والأمراء ونحوهم يحصل منه مفسدة عظيم وفتنة عظيمة؛ لما يبتغي عن ذلك من قتل وسفك دماء وقتل ونحو ذلك. فلأجل ذلك أهل السنة يقولون: نسمع ونطوي كما أمرنا الله وكمأمرنا رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله بطاعة الأمراء ولو كانوا في فجارات، فقد كانوا في الزمن القديم يحتاجون إلى أمير يقيم لهم شعائر الحق: { لَأَنَّهُمْ إِذَا حَجَوْا فَرَادِيْ أَقْطَعُوْهُمْ } فإذا مر بهم الحاج أو المسافر، اقتطعوا وأخذوا ما معه، فاحتاج المسلمين إلى أن يؤمروا أميراً يحج بهم ويحجون معه، ولو كان عاصيًا، ولو كان يشرب الخمر أو يحلق لحيته أو يقصر في أمر الله أو ما أشبه ذلك، فإن تقصيره على نفسه، وللمسلمين مصلحة في الاجتماع عليه. فالحال معه مثلاً يحصل الاجتماع والاطمئنان، وتحصل إقامة الشعائر، وذلك لأنهم يوافقونه في الرحيل، ويوافقونه في النزول، فإذا غرب الشمس صاح بهم: هلموا فانصرفوا من عرقه فينصرفون، فإذا طلع الفجر نادى عليهم أميرهم أن صلوا فيصلون جميعاً، ثم يسرون بعد صلاة الفجر والإسفار إلى مني ثم إذا أذن الطهر نودي أن دخل وقت الرمي فارموماً، فيذهبون إلى الرمي وهكذا، فهو الذي يقيم مناسك الحج وشعائره فيحجون على بصيرة. وهكذا الجهاد يذهب هذا الأمير بالعيش إلى البلاد الأخرى ويجاهد، فلذلك يرى أهل السنة موافقة والغزو معه، ولو كان هو في نفسه يعكف على الأغانى والملالي ولو كان منها بشيء من التقصير في عيادته أو ما أشبه ذلك، فإن معصيته على نفسه ونفعه للمسلمين فيحجون معه، ويصلون معه، وبغزوهم يحصل المصلحة في ذلك. وأما الجمع والأعياد: فالعادة أن الذي يتولاها في المدن ويصلى بهم هو الأمير الذي يتربى على تلك المدينة، فهو الذي يتولى الخطبة بهم في الجمع والأعياد، فيصلون خلفه على ما كان منه من تقدير، ولو كان يشرب خمراً أو يعكف على الغناء فلا يجوز الخروج عليه أو خلع الأيدي من ملائكة لا يأمر بالمنكر ولا ينهى عن المعروف، وهو مع ذلك يتخلونه بالتنبيحة والموعظة، ويبينون له خطر المعاصي والذنب، فإذا استقام فقد تم العزاء، وإن أبي كانت معصيته على نفسه، فيجتمع المسلمون عليه في الخير ويشاركونه في الغزو والجح وإقامة الجمع والأعياد وغير ذلك. 3- المحافظة على الجماعة من خصال أهل السنة: المحافظة على الجماعة، والمراد بها جماعة المسلمين ولو كانوا قليلاً، والجماعة هي أهل السنة المتمسكون بها، فإذا جاء حدث يحيث على الجماعة، كقوله صلى الله عليه وسلم { عليكم بالجماعة } آخرجه الترمذى برقم (2165) في الفتن، وقال: حسن صحيح، وصححه الألبانى وهو في صحيح الجامع برقم (2546). فالمراد بها جماعة المسلمين، ومنها اجتماعهم على الصلوات في المساجد، وهذا دليل على محافظتهم على الجماعة وتمسكهم بها، وكذلك فإنهم مضطهدون ومحاربون ومشتتون، ومع ذلك فإنهم هم الجماعة الذين ما وافق الحق، وإن كانوا قليلاً، فأهل السنة والجماعة قليل جداً بالنسبة للفرق الأخرى، وكذلك فإنهم مضطهدون ومحاربون ومشتتون، ومع ذلك فإنهم هم الجماعة الذين وردت النصوص بالبحث على التمسك بهم وطريقهم، ولو خالفهم الجم الغير والعدد الكبير، فإنه لا عبرة بمخالفته هؤلاء لهم. فالحاصل: أن أهل السنة يرون المحافظة على الجماعة. 4- النصيحة قوله: "يدينون بالتنبيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: { المؤمن للبيان المرصوص، يشد بعضه ببعض } ، وشيك بين أصابعه } آخرجه البخاري برقم (6026) في الأدب، باب: "تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا". ومسلم برقم (2585) في البر والصلة، باب: "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاصدهم" عن أبي موسى رضي الله عنه. قوله: { مثل المؤمنين في تواهدهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد: إذا اشتكت منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهير } آخرجه البخاري برقم (6011) في الأدب، باب: "رحمة الناس بالبيان". ومسلم برقم (2586) في البر والصلة، باب: "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاصدهم". عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. هذا من خصال أهل السنة والجماعة أنه يرون أن المسلمين عليه أن ينصح للمسلمين، وأن يكون مخلصاً لهم وناصحاً. والنصائح هو صفاء المودة، ومن آثاره: الدلاله على الخبر الذي يعلمه خيراً، واتقاء الشر الذي يعلمه شرًّا، وبعد عن الغش؛ وذلك بيان تحب للمسلمين ما تحبه لنفسك، وتدلهم على ما تحب أن تفعله؛ فإذا كان هناك مصلحة دنيوية فلا تستبدل بها وتحرم إخوتك المسلمين، وإذا رأيت مسلماً قد أقبل على هلكة، فإياك أن تتركه بل حذره من أسياب هذا الهلاك ونحو ذلك، وهذا شبيهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبيان أي الطين الذي يجعل على طين فيبيس ويتصطب ويشد بعضه لإخوته المسلمين، فإنه يدلهم على الخبر ويساعدهم عليه، لهذا شبيهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبيان الذي يجعل على طين فيبيس ويتصطب ويشد بعضه بعضًا. هكذا المؤمن ينشد عصداً أخيه ويساعده، ويعينه على ما وقع فيه من المشاكل ونحو ذلك، فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد يعني أنه إذا تالم واحد من أطراف المسلمين حزن له إخوه المسلمين، وحرضوا على إزالة الألم الذي وقع به. وإذا وقع به ظلم، تالم له كل مسلم في شرق الأرض وغربها، وحرض على أن ينجيه من هذه المظلمة التي وقع فيها: إذا سجن ظلماً، أو أخذ ماله ظلماً، أو أعدى عليه أو نحو ذلك، فإن حقا على المسلمين أن ينصروه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: { إنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً } آخرجه البخاري برقم (6952) في الإكراه، باب: "يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل" من حديث أنس، وهو عند مسلم بنحوه برقم (2584) من حديث جابر رضي الله عنه. والحاصل أن هذه الأمور من خصال أهل الخبر التي إذا تأملها المسلم عرف أن الإسلام جاء بمحاسن الأعمال ومعالي الآداب.